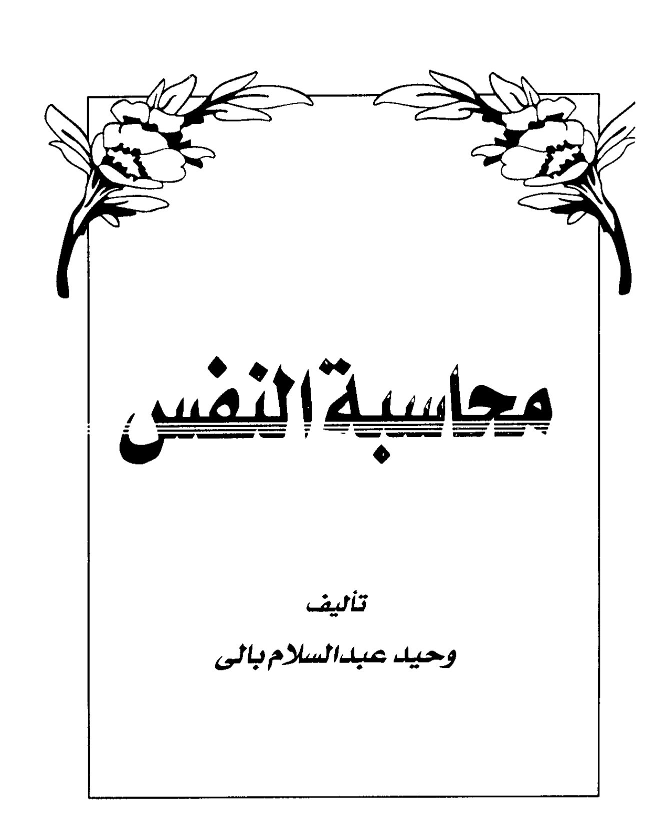


محاسبة النفس

تأليف

وحيد عبد السلام بالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠١ م

الناشر

دار ابن رجب

الفرع الرئيسى فارسكور: ٤٤١٥٥٠ / ٠٥٧ـ ٠١٢٣٨٣٠٥٦

فرع المنصورة: محطة الأتوبيس الدولية ٣١٢٠٦٨ / ٠٥٠

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد . . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد -ﷺ- ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، وإنّ ما قَّل وكفى خير مما كثر وألهى، وإن ماتوعدون لأتٍ وما أنتم بمعجزين .

اعلم أخى المسلم -وفقك اللَّه -أن النفس البشرية

كالطفل إن أدبتها وهذبتها صلحت ، وإن أهملتها وتركتها خابت وخسرت ، أو كالبعير إن علفتها ثبتت، وإن تركتها شردت .

ومن هذا المنطلق كتبت هذه الكلمات فى محاسبة النفس ، وترويضها لكى تكون دافعاً لى ولإخوانى فى محاسبة أنفسنا، ومعاملتها بما تستحق .

وقد قسمت هذه الكلمة إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى وجوب محاسبة النفس .

الفصل الثانى : فى فوائد محاسبة النفس .

الفصل الثالث : فى كيفية محاسبة النفس .

وأسأل الله ــ تبارك وتعالى ــ أن يرزقنا الإخلاص فى الأقوال ، والأفعال ، والحركات ، والسكنات .

وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه أفقر الخلق إلى الله

وحيد بن عبد السلام بالى

مدينة أبها فى غزة شهر شعبان

من عام ١٤١٠هـ

مُحَاسَبَةُ النَّفْس

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالى

الفَصْلُ الأَوَّلُ

وُجُوبُ مُحَاسَبَةِ النَّفس

إن النفس بطبيعتها تميل إلى الشهوات واللذات والهوى ، فلا بد إذن من محاسبة هذه النفس ، ومنعها عن الشر ، ودفعها إلى الخير ، فهى المَيْدَانُ الأول الذى يجب الاهتمام به ، فمنها يفلح الإنسان ، ومنها يخسر ، ولقد أقسم المولى تبارك وتعالى فى كتابه الكريم أنه لا فلاح ، ولا نجاح إلا بتزكية النفس وتطهيرها ، ثم بيّن بعد ذلك بأن إهمالها ، وتركها فى المعاصى موجباً للخسران الذى ما بعده خسران فقال ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [سورة الشمس: ١-١٠].

قال قتادة: قد أفلح من زكى نفسه بالطاعة، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل.

وقد جاء الأمر الإلهى للمؤمنين جميعاً بمحاسبة النفس، حيث قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن كثير -رحمه الله- فى قوله تعالى ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾: أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم، وعرضكم على ربكم.

ثم قال فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

: أى اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم، وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل، ولا حقير. أهـ. وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

يخبرنا الله فى هذه الآية أنه قد أحاط بخلقه علماً، فهو سامع لكلامهم، راءٍ لمكانهم حيث كانوا، وأين كانوا.

ومن هنا وجب على المسلم أن يلبى نداء الله عز وجل، فيحاسب نفسه، ويعاقبها على التفريط، ويعاتبها على التقصير، وكيف لا يحاسب المسلم نفسه، وهو يعلم أن الله يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفى الصدور.

وعن شداد بن أواس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-

: «الْكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه وَعمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِز مَنْ أتْبَعَ نَفْسَه هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلى الله الأَمَانِيَّ» رواه الترمذى، وحسَّنه وقال الترمذى: «دان نفسه» حاسبها.

وفى البخارى، عن أنس -رضي الله عنه- قال: «إنَّكُم لَتَعْمَلُونَ أعْمَالاً هِيَ أدَقُّ فى أعْيُنِكُم من الشَّعْر، إنْ كُنَّا لَنَعُدُّها على عهد النبى -ﷺ- من المُوبِقات».

قال البخارى -رحمه الله-: يعنى بذلك المهلكات.

وذكر الإمام أحمد -رحمه الله- عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: «حاسبوا أنفسكم قَبْلَ أن تُحاسبوا، وَزِنُوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا، فإنَّهُ أهْوَن عليكم فى الحساب غدا أن تُحاسبُوا أنفسكُم اليومَ، وتَزَيَّنُوا للْعَرْضِ الأكبرِ، يومئذ تُعْرَضُونَ لا تخفى منكم خافية».

وقال الحسن البصرى -رحمه الله-: «إن المؤمن

والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يَسْتَقْصِرُها في كل فعل فيندم ويلوم نفسه. وإن الفاجر ليمضي قُدُماً لا يعاتب نفسه».

(يستقصرها) يعني يتهمها بالتقصير.

فكن أخي المسلم ممن يحاسب نفسَهُ ولا تكن الآخر.

وقال قتادة -رحمه الله- في قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ : «أضاع نفسه وغبن، ومع ذلك تراه حافظاً لماله مُضَيِّعاً لدينه».

وقال ميمون بن مهران: «لايكون العبد تقيًا حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبة من الشريك لشريكه. ولهذا

قيل : النفس كالشريك الخوَّان ، إن لم تحاسبه ذهب بمالك» .

وقال ميمون بن مهران أيضاً : «إنَّ التَّقِيَّ أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاصٍ ومن شريك شحيح» .

وذكر الإمام أحمد ، عن وهب قال : مكتوب فى حكمة آل داود« حقٌ على العاقل أن لايغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبروه بعيوبه ، ويَصْدُقُونَهُ عن نفسه ، وساعة يُخَلِّى فيها بين نفسه ، وبين لذاتها بيما يَحِلُّ ويَجْمُلُ ، فإن فى هذه الساعة عونًا على تلك الساعات ، وإجماماً للقلوب» .

وكتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله : «حَاسِب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب

نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغِبْطَة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة».

قال الحسن : « المؤمن قَوَّام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خفّ الحساب يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير مُحاسبة . إن المؤمن يُفاجئه الشئ ويعجبه فيقول : والله إنى لأشتهيك ، وإنك لمن حاجتى ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات حِيلَ بينى وبينك ، ويَفْرُطُ منه الشئ فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا؟ مالى ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير فى الدنيا يَسْعى فى فِكَاكَ

رقبته، لايأمن شيئاً حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره ، وفي لسانه وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله» .

قال مالك بن دينار : « رَحِمَ الله عبداً قال لنفسه : أَلَسْتِ صاحبةَ كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم ذمّهَا ثم خَطَمَها، ثم أَلْزَمَها كتابَ الله عز وجل ، فكان لها قائداً» .

الفَصْلُ الثّانِى

فوَائِدُ مُحَاسَبَةِ النّفس

إنَّ لِمُحَاسَبَةِ النّفس فوَائِدَ كثِيرةً،مِنْهَا:

أولاً :الاطّلاع عَلى عُيُوبهَا

إن من مـداومة الإنسـان على مـحاسـبة نفسـه يعلم عيـوبهـا ، وزَلاتهـا ، ومـواطن الضـعف فيـهـا ، فيـبـدأ بعلاجهـا ، ووَصْف الدَّواء لها ، ولكن لا يَتَسَنَّى ذلك إلا بعدمعرفة مواطن الداء .

ولذلك قال ابن القيم-رحمه الله- : « ومن لم يَطَّلِعْ على عَيْبِ نفسه لم يمكنه إزالته ، فإذا اطَّلع على عيبها مَقَتَهَا فى ذات الله» .

وقـد روى الإمـام أحـمـد ، عن أبى الدرداء-رضي الله عنه-

قال : « لايَفْقَه الرجل كل الفقه حتى يَمْقُتَ الناس فى جنب الله ، ثُمَّ يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا » .

وقال مطرف بن عبد الله : «لولا ما أعلم من نفسى لَقِيْتُ الناس» .

وقال أبوبكر بن عبد الله المزنى : «لَمَّا نَظَرْتُ إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم» .

ولما احتضر سفيان الثورى دخل عليه أبو الأشهب وحماد بن سلمة ، فقال له حماد : يا أبا عبدالله أليس قد أمِنْتَ ممّا كنت تخافه؟ وتَقْدُم على من ترجوه ، وهو أرحم الراحمين ، فقال : يا أبا سلمة أتطمع لمثلى أن يَنْجُوَ من النار ؟ قال : إى والله إنى لأرجوذلك .

وذكر عن مسلم بن سعيد الواسطى قال : أخبرنى حماد بن جعفر بن زيد : أن أباه أخبره قال : « خرجنا فى

غزاة إلى كائل ، وفى الجيش (أُشَيْم بن صلة) فنزل الناس عند العتمة ، فصلوا ثم اضطجع فقلت : لأرمقن عمله ، فالتمس غفلة الناس حتى إذ قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريباً منا فدخلت على إثره ، فتوضأ ثم قام يصلى وجاء أسد حتى دنا منه ، فصعدت فى شجرة ، فتراه التفت أو عدّه جرواً؟ فلما سجد قلت : الآن يفترسه ، فجلس ، ثم سلم ، ثم قال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر ، فولى وإن له لزئيراً أقول : تصدع الجبال منه ، فما زال كذلك يصلى حتى طلع الصبح ، جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ، ثم قال : اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار ، ومثلى يصغر أن يجترئ أن يسألك الجنة ، ثم رجع . وأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت وبى من الفترة شئ الله عالم به» .

وهكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يحاسبون أنفسهم ، فأثمرت المحاسبة استصغار العمل، ودنو الأجل ، واتهام النفس . فهذا محمد بن واسع يقول : « لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إليَّ» .

وذُكِرَ داود الطائى عند بعض الأمراء فأثنوا عليه فقال : «لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذَّل لنا لسان بذكر خير» .

وقال أبو حفص : « من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها فى جميع الأحوال ، ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر أوقاته، كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها» .

واعلم أخى المسلم أن الاطلاع على عيوب النفس

يثمر مقت النفس وازدرائها، وهذا يرفع العبد عند الله درجات.

قال ابن القيم -رحمه الله- : « ومقت النفس فى ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو به العبد من الله تعالى فى لحظة واحدة أضعاف مايدنو بالعمل ».

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الحسن ابن أنس ، حدثنا منذر ، عن وهب«أن رجلاً سائحاً عَبَدَ الله عز وجل سبعين سنة، ثم خرج يوماً فقلَّل عملَه وشكا إلى الله تعالى منه، واعترف بذنبه، فأتاه آتٍ من الله فقال له : إن مجلسك هذا أحب إليَّ من عملكَ فيما مضى من عمرك».

وليست هذه دعوة إلى ترك العمل والتفرغ للعبادة، ولكنها تنبيه للعبد أن يجتهد فى العبادة، وليعلم

أنه مقصر فى حق مولاه الذى أنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى ، وهذا من صفات الصادقين .

ولكن الهـدف من الاطلاع على عـيـوب النفس وآفـاتهـاهو مـعـالجـتـهـا كى تُشـفى من هذه الأمراض ، وتتخلص من هذه العيوب ، وبذلك يتقى الإنسان نفسه ، ويطهرها ، ويزكيها ، وهذا هو طريق الفلاح ، والنجاح فى الدنيا والآخرة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩] .

ثانياً: الاسْتِعْدادُ لِلرَّحِيلِ

واعلم أخى المسلم أن محاسبة النفس تجعلك دائم الاستعداد ليوم القيامة تُعِدّ الزاد ، وتستكثر منه ، وليعلم كل مسلم أنه ليس للمرء فى الدنيا مقام ، ولا عليها قرار ، فالآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلاً ، يوم

القيامة يوم الحسرة والندامة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران : ٣٠] يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ : ٤٠] . يومها لا يعرف أحدٌ أحداً، ولو كان قريباً ، أو عزيزاً، بل لو كان أباه ، أو أخاه، أو أمه، أو ابنه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

[عبس : ٣٤-٣٧] .

ألا يكفي ذلك زجراً للعاصي، وتنبيهاً للغافل ، وإيقاظاً للنائم ، وتذكيراً للناس، فيهبوا جميعاً ويتوبوا إلى ربهم ، ويعودوا إلى منهاج نبيهم، ويقطعوا عهداً جديداً مع ربهم، ويعدوا الزاد ليوم الميعاد ، ويستكثروا من الخيرات قبل فوات الأوان : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن

قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون : ١٠-١١] .

قال الفضيل بن عياض : « المؤمن فى الدنيا مهموم حزين، همه مرمة جهازه، ومن كان فى الدنيا كذلك ، فلا هم له إلا التزود بماينفعه عند العودة إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد-الذى هو غريب بينهم -فى عزهم، ولا يجزع من الذل عندهم» .

وقال أيضاً : « إنما أنت أيام مجموعة كلما مضى يوم مضى بعضك» .

وقال داود الطائى : « إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم فى كل مرحلة زاداً لما بين

يديهافافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ماهو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمدك ، فكأنك بالأمد قد بغتك» .

واعلم أخى المسلم أنك من على الدنيا مسافر ، فلابد من الزاد لهذا السفر الطويل ، والأمر الخطير . وقد أحسن من قال :

سَبِيلُكَ فى الدُّنْيا مُسَافِرِ

وَلابُدَّ مِنْ زَادٍ لِكُلِّ مُسَافِرِ

وَلا بُدَّ لِلإنْسَانِ مِنْ حَمِلْ عُدَّةٍ

وَلا سِيَّمَا إِنْ خَافَ صَوْلَةَ قَاهِرِ

وقال بعض الحكماء : «من كانت الأيام والليالى مطاياه سارت به ، وإن لم يسر» .

وفى هذا المعنى قال بعضهم :

وَمَا هَذِه الأيامُ إلاَّ مَرَاحِلُ

يَحُثُّ بها داعٍ إلى المَوْتِ قَاصِدُ

وأَعْجَبُ شَيءٍ لَوْ تَأمَّلْتَ أَنَّها

مَنَازِلُ تُطْوَى والمُسَافِرُ قَاعِدُ

وقال بعضهم :

نَسِيْرُ إلى الآجالِ فى كُلِّ لَحْظَةٍ

وأيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ

ولَمْ أرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأنَّهُ

إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمَانِيُّ بَاطِلُ

وَمَا أقْبَحَ التَّفْرِيطِ فى زَمَنِ الصِّبا

فَكَيْفَ والشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاغِلُ

فَارْحَلْ مِنَ الدُّنْيا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى

فَعُمْرُكَ أَيَّـــامٌ وَهُنَّ قَلائِلُ

فإذا كان الموت قد أحاط بنا من كل جانب ، والأيام والليالى تنقلنا من هذه الدنيا ، فما العمل ؟ العمل ما تجده فى قول الفضيل بن عياض -رحمه الله- حيث قال لرجل : كم أتت عليك؟فقال الرجل : ستون سنة . قال الفضيل : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ .

فقال الرجل : إن لله وإنا إليه راجعون . قال الفضيل : أتعرف تفسير ما قلت؟ من عرف أنه لله عبد ، وإنه إليه راجع ، فليعلم أنه موقوف ، ومن علم أنه مسئول فَلْيَعُدَّ للسؤال جواباً . فقال الرجل : فما الحيلة؟ قال : يسيرة قال : ماهى ؟ قال تحسن فيما بقى يغفر لك

ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقى أُخذت بما مضى وما بقى».

وفى هذا المعنى قال بعضهم :

وَإِن المَرْءَ قَدْ سَارَ ستِّينَ حَجَّةٍ

إلى مَنْهَلٍ وِرْدُهُ قَرِيْبُ

ثالثاً: تولد خُلق الحَيَاءِ مِنَ الله

لأن المسلم إذا حاسب نفسه على التفريط، والتقصير فى جنب الله تعالى ، ورأى نعم الله إليه نازلة ومعاصيه وذنوبه إلى ربه صاعدة، علم قدر نفسه، وهوانها ، وتولد عنده خُلُقُ الحياء من الله تبارك وتعالى ، وقد قال النبى -ﷺ- : « الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ» . متفق عليه .

رابعاً: الازدياد من العمل الصالح

ومحاسبة النفس تدفع العبد على الإزدياد من العمل الصالح ، والتزود من الدنيا قبل الرحيل ، لأنه بمحاسبته لنفسه يعلم قدر الدنيا وهوانها ، وعظم الآخرة وثوابها ، فيرحل بقلبه من الفانية إلى الباقية ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .

خامساً: دوام الخشية من الله

إن العبد إذا استمر على محاسبته لنفسه ، وتوبيخها ، وتقريبها صار من العارفين بالله ، العالمين به علم اليقين الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] لأن العلم إذا لم يرد صاحبه خشية لله فليس بعلم نافع .

فـالعلم علمـان : علم على اللســان ، وعلم فى القلب، فأما العلم الذى على اللسان فهو حجة الله على خلقه، وأما العلم الذى فى القلب فهو الخشية .

الفصل الثالث

كيفية المحاسبة

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : «محاسبة النفس نوعان : نوع قبل العمل ، ونوع بعده»

فأما النوع الأول :

فهوأن يقف عند أول همه وإرادته ، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين رجحانه على تركه . قال الحسن البصرى -رحمه الله- : «رحم الله عبداً وقف عند هَمِّه ، فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخر» .

أما النوع الثانى :

محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع :

أحدها : محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق

الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذى ينبغى . وحق الله تعالى فى الطاعة ستة أمور هى : الإخلاص فى العمل ، والنصيحة لله فيه ، ومتابعة الرسول فيه ، وشهود مشهد الإحسان فيه ، وشهود منة الله عليه ، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله .

الثانى : أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تَرْكُهُ خيراً له من فعله .

الثالث : أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد : لِمَ فعله؟ وهل أراد به الله ، والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً ، أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ، وبفوته الظفر به؟اهـ.

وغاية ذلك أن يحاسب العبد نفسه أولاً على الفرائض ، فإن تذكر فيها نقصاً تداركه إما بقضاء ، أو

صلاح . ثم يحاسبها على المنهى ، فإن عف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة ، والاستغفار ، الحسنات الماحيات . ثم يحاسب على الغفلة ، فإنقد غفل عما خلق له تداركه بالذكر ، والإقبال على الله تعالى ، ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشت إليه رجلاه ، أو بطشت يداه ، أو سمعته أذناه .

وأخيراً أسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يعلمنا العلم النافع ويرزقنا العمل الصالح ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، ونستغفرك ونتوب إليك .

الفهرس